أعلى من الخوف

محمد المهدّي

أَورَثتُكَ السّرّ
والتّأويلَ والكشفَا
وفي السرارةِ بابٌ
لم يزلْ أخفى
بي حكمةُ الصبرِ،
إسراءُ السكينةِ،
مِعراجُ القُوى،
بيْ وصايا العارفِ الأوفى
بوسعِكَ الآنَ حفظي جيداً..
سترى عينَ الكتاب
إذا استقرأته طَرْفَا
في الناي
قريةُ وجدٍ غير خاويةٍ
وفي المدينةِ
قلبٌ يقتنيْ العَصْفَا
وفي الكناياتِ مرضَى،
حيث عافيةُ الكلامِ
-في عصرنا-
تحتاجُ مُستشفى
فوضى مجازك:
معنى الوقتِ مُكتئبٌ كالشّوكِ..
غيمُ انتظارِ المُنتهى
جَفّا
علاقةُ الليل بالأحلام
كافرةٌ..
غير المساءات
من يستوجب اللُّطْفَا؟
خوفٌ من الخوف
أحزانٌ مُقَعّرَةُ النَّجوى
صحارى ضميرٍ
رحلةٌ عجفا
موتٌ من الموتِ..
ما هذا الحُطامُ؟
دمٌ يهذي من الهول:
منْ مِنّا قضى الحَتْفا
فليذهب الشعبُ
في سنّين داهيةٍ
في ألفِ داهيةٍ
إنْ لمْ يقفْ صَفّا
***
أعلى من الخوف:
موسيقى تمرُّ على جنازةٍ
نحو كهفٍ يتقنُ العزفا
أو شاعرٌ
ماتَ مضموماً بغربته
غير الذي عاشَ لا كلباً ولا كهفا
أو دمعةٌ من زُجَاجِ الله،
أو ظمأٌ أعمى
تطالعُ فيه الغيمةُ الأصفى
أو مشهدٌ
حرفُ جرٍّ لا يدلُّ على مسيرِهِ،
ودروبٌ تعبرُ الحَرْفا
***
أورثتُك السِّرّ..
أسقطتَ النّهَارَ..
رثيتُ الماءَ..
أسْعَدَكَ الموتُ الذي وَفّى
هَزَمْتَنِيْ يا رغيف العيشِ..
هاويةُ التّاريخِ جُوعُ بلادٍ
تهضمُ العُنفا
وهكذا
يسقطُ الإنسانُ في وطني..
هناك
ما أعظم الإنسان في المنفى!

الناقد والأديب عبدالرحمن مراد:

غاب الفعل الثقافي وحضر الصراع السياسي

المثقف اليمني .. في حالة بؤس ويصارع أسباب البقاء..!!

رغم الدور الكبير والهام الذي يلعبه النقد الأدبي في خدمة وازدهار الحركة الثقافية والإبداعية، إلا أن النقد الأدبي في بلادنا توارى وتقاعس عن أداء ذلك الدور، وتخلف عن مواكبة الإبداع وعطاءاته المتلاحقة وجعل الكثير يتساءل عن سبب ذلك الجمود والغياب المتواصل.

وعن المشهد النقدي الأدبي في اليمن نحاول أن نسلط الضوء حول واقعه وما يحيط به من إشكاليات متعددة ومناقشة كل قضاياه، وذلك من خلال لقاءات متعددة مع نخبة من المهتمين بالنقد الأدبي في اليمن.

وفي السطور التالية لقاء مع الأديب والناقد عبدالرحمن مراد والذي تناول فيه العديد من الرؤى الثقافية وناقش الكثير من قضايا النقد الأدبي وتوقف أمام العديد من جوانب مشهدنا الثقافي وفيما يلي حصيلة اللقاء:

لقاء/ محمد القعود

غياب طويل

*** هل لدينا نقد يواكب الإبداع في بلادنا؟**

- لا أظن أن لدينا نقداً يواكب الحركة الإبداعية منذ مطلع القرن الماضي وحتى اللحظة التي نحن فيها.. وهذا التعميم لا يلغي الحالات الاستثنائية في بعض السنين ولا بعض الأسماء التي كان نشاطها النقدي تفاعلياً أملته الضرورات ولم يكن مشروعاً نقدياً قائماً بذاته كما نجد ذلك في مصر مثلاً فاليمن تعيش وضعاً استثنائيا منذ نصف القرن الماضي ولم تتمكن من صناعة حركة نقدية تعيد ترتيب نسقها الحضاري والثقافي ومثل ذلك له أسبابه الموضوعية ، فالصراع السياسي يترك أثراً مدمراً في البنى المختلفة ومنها البنية الثقافية.. كما أن السياسات العامة للحكومات ظلت تحاذر الفعل الثقافي وتخوفه ولذلك لم تخلق المناخات الملائمة لنموه وترعرعه.. فلم يكن حظه إلا الغياب الذي بلغ ذروته في هذه السنين التي أعقبت الاهتزازات التي أحدثها ما يسمى بالربيع العربي.

* طيب .. وكيف تقيم ما يقدم الآن من دراسات وكتابات تحت لافتة النقد.. سواء عبر الصحف والمجلات أو عبر الندوات والمهرجانات الثقافية؟

- في حاضرنا لم يعد هناك شيء مما ذكرت.. وإن حدث فثمة تحايا ليس أكثر يرسلها الأدباء إلى بعضهم.

علينا أن ندرك أن الحواضن والحوامل غابت وغيابها كان سبباً مباشراً في غياب الفعل النقدي.. فالصحف الثقافية توقفت وتوقفت الملاحق الثقافية والمجلات .. وخفت النشاط الثقافي في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية.. الحاضر الوحيد هو الصراع السياسي وخرير الدماء ولعلعة الرصاص والموت والفناء.

في مطلع الألفية الجديدة كان في حياتنا شيء مما ذكرت وظل كظاهرة لم تستمر ويمكن أن يقال أن حركة نقدية صاحبت العملية الإبداعية وكان لها أثرها ولها نتاجها الذي يمكن التعويل عليه.

عدم مواكبة

* الاتجاهات النقدية الحديثة هل لها حضورها الفاعل في النقد اليمني .. وإلى أي مدى استطاعت مقاربة النصوص الإبداعية المحلية..؟

- هناك متغيرات كثيرة وهناك تعدد في الاتجاهات والمدارس النقدية الحديثة ..للأسف لا يمكن القول أننا استطعنا مواكبة تلك الحركة النقدية العالمية.. وليس ذلك عن عجز في الذهنية اليمنية.. ولكن بسبب غياب المناخات والبيئات الملائمة وتلك أسباب موضوعية كما أعتقد.

أما بالنسبة لمدى قدرة الدراسات النقدية الحديثة في مقاربة النصوص الإبداعية المحلية ففي ظني أن ثمة دراسات كان لها حضورها الكبير وقد ارتبطت مكانياً بجامعة ذمار، وكان للدكتور صبري مسلم والدكتورة وجدان الصائغ الدور الأكبر في تجلياتها ولا يمكن أن نتجاوز الدكتور حاتم الصكر.. وقد نشعر بغياب الأسماء اليمنية في تلك التجارب ولكن ليس غياباً كلياً فهناك الدكتور البار وعبدالودود سيف وعلوان الجيلاني وغيرهم بيد أن صعوبة النشر تشكل عائقاً أمام الكثير من الأسماء اليمنية.

النقد وتجويد المادة

*** كيف يمكن أن تسهم اتجاهات النقد الحديثة في تطور النص الإبداعي المنتج؟**

- النقد يدرس طبيعة التجربة الجمالية والفنية والكثير من النظريات تدرس طبيعة التجربة الجمالية والفنية وقيمتهما وتحاول ردم الهوة بين المرسل والمتلقي وتأخذ على عاتقها محاولة الكشف عن الطريقة التي يمكن بها التمييز بين الفن الجميل والفن النافع وسواهما والنقد في طبيعته يعمل على تجويد المادة المنتجة وتصويب الانحرافات في النسق الفني والجمالي وهو من الضرورة بالمكان الذي لا يمكننا الاستغناء عنه في تعديه الثقافي والجمالي.. وكل تطور حضاري حدث في التاريخ صحبه نشاط نقدي موازٍ كان سبباً فيه.

المنهج والمعرفة

*** من هو الناقد .. وما هي مميزاته وإمكاناته؟**

- الحقيقة تعريف الناقد صعب ومتشعب لكن دعني استعير من (ت . س .إليوت) قوله: الناقد هو ذلك الذي يستطيع أن يجعلني أنظر إلى شيء لم أنظر إليه من قبل، أو أنظرت إليه بعينين أعماهما التعصب فحسب، وهو الذي يضعني أمام هذا الشيء وجهاً لوجه.. ثم يتركني معه وحدي معتمداً على حساسيتي وعقلي وقدرتي على الحكمة.

أما أهم مميزاته فهي قرته على الوعي الجمالي والمرونة في المعايير والتنوع ليتمكن من الإحاطة بأطراف الموضوع الفني وبيان تباينها وإمكاناته الأساس هي المنهج والمعرفة والذوق.

لدينا طاقات إبداعية

*** هل لدينا نقاد بالفعل لهم قدرات وإمكانات ورؤى ومشاريع تضيف إلى المشهد الثقافي إضافة نوعية؟**

- بالتأكيد لدينا فنحن مجتمع حي وذو جذر تاريخي وثقافي ضارب في أعماق اللحظة الزمانية البعيدة ..لدينا طاقات إبداعية وذهنية هائلة تبزغ في الخارج ولكنها تغرب في اليمن ونحن نشعر أن الكثير منهم يحصدون الجوائز ومجرد هودتهم إلى اليمن لا نكاد نسمع لهم ركزاً.

لدينا إشكالات في السياسات العامة ، وليس في طبيعة الأرض أو الإنسان أو البعد الثقافي أو الحضاري.

غياب الرؤية

*** تحفل الجامعات بالعديد من حملة الدكتوراه ممن تخصصوا في مجالات النقد الأدبي .. لكن نسبة كبيرة منهم ليس لهم أية إسهامات في رفد هذا المجال.. ما هو تفسيرك لذلك؟ وكيف ترى أهمية إسهام الناقد الأكاديمي في مجال النقد؟**

- في ظني أن هناك خللاً في شكل العلاقة بين المؤسسات وغياب الرؤية والمشروع من الظواهر التي تزيد الفجوات اتساعاً في المؤسسات.. لدي يقين مطلق بالطاقات الكامنة في الذات الأكاديمية لكن غياب المناخات والبيئات الحاضنة يجعلها تدور في خصائصها الوظيفية الثابتة ولا تكاد تتجاوز ذلك.

الأكاديمي محبط كغيره وله إسهامات متعددة وقيمة ولكنها لا تكاد تصل إلى المشهد نتيجة اختلال شكل العلاقة بين المؤسسة الثقافية والمؤسسة الأكاديمية وكذا المؤسسة الإعلامية ومن أجل أن ترفد المشهد الثقافي بالجديد يتوجب إعادة صياغة منظومة العلاقات الضابطة للعملية الثقافية وقبل ذلك تجديد الأهداف فالعالم من حولنا متعدد وغير مستقر حضارياً وأهمية الناقد الأكاديمي كبيرة لأنه قادر على تجديد المنهج وضبط المفهوم خوف الفوضى والانفلات.

الوعي بالحاضر

*** مع التطور الكبير في وسائل المعرفة والمعلوماتية وما يشهده العالم من إنجازات متلاحقة في مختلف العلوم.. كيف ترى مهمة النقد والناقد اليوم.. وما هو تعريفك للنقد ودوره في ظل هذه المتغيرات وتشابك النص وانفتاحه على عوالم جديدة؟**

- مهمة النقد هي الوعي بالحاضر بصفته لحظة بين الماضي والمستقبل وهو يؤمن بإمكانية تحليل البنى المختلفة ومن ثم تصحيحها وتطويرها حتى تتوافق مع اللحظة الحضارية الجديدة.

والنقد مفهوم متشظ وأنا أميل إلى القول إنه حالة استجوابية وحوارية مستمرة هدفها مناهضة القوى والمفاهيم التي تؤسس للهيمنة وهو يعيد المشروعية إلى المعرفة التأملية والإبداعية والابتكارية في عالم متغير وغير مستقر وواقع تحت ثنائية الخضوع والتسلط ودوره دور حيوي جوهري في التفكيك وإعادة البناء.

علاقة جدلية

*** متى يصبح النقد إثراء للنص.. وليس مجرد خواطر عابرة؟**

- متى تهيأت المناخات وتعددت المنابر والحواضن كان هناك نقد يكون إضافة نوعية للمشهد وإثراء للنص ومتى غابت غاب.. هناك علاقة جدلية بين الحالين من حيث الحضور والغياب.

وسيط

*** كناقد كيف تتعامل مع النص الأدبي؟**

- لا أدري عن الماهية التي أتعامل معها مع النص فأنا لا أحترف هذا الجنس الثقافي والأدبي ولكني أجد نفسي في عوالمه والقيمة الفنية والجمالية وجدة الرؤية تجعلني وسيطاً بين النص والمتلقي الذي في الغالب يكون مفتقراً للمعرفة التي يفترضها صاحب النص.

مشروعي الثقافي

*** لماذا اخترت النقد الأدبي كتخصص وكمجال للكتابة فيه؟**

- في الحقيقة أنا أدعي أن لي مشروعاً ثقافياً والنقد لم يكن إلا أداة من أدوات المشروع الذي أحمله للناس وهي محاولة يسيرة في واقع لم تعد حضارته كما كانت عليه في الماضي مستقرة وموحدة.

*** ما هي أبرز إسهاماتك النقدية؟**

- لي إسهامات متواضعة في النقد بشقيه الأدبي والثقافي أهمها كتاب "البردوني شاعراً أو مفكراً " وكتاب "صورة الوطن في المنتج الشعري اليمني" وكتاب "الربيع العربي في اليمن .. دم وعواصف .. رؤى نقدية" ولي تحت الطبع "مقاربات في المتن الإبداعي اليمني " و "من اللا استقرار إلى اللاإستقرار .. قراءة في تموجات اللحظة السياسية اليمنية" والمثير من المقالات والدراسات التي لم ينتظمها كتاب وهي منشورة في الصحف والمجلات اليمنية والعربية.

*** المبدع والمثقف اليمني إلى مدى يتقبل النقد؟**

- القضية هنا قضية نسبية والمبدع في الأول والآخر إنسان ويختلف الأمر من شخص لآخر.

* المثقف اليمني كيف تراه اليوم؟

- أراه بائسا يصارع أسباب البقاء وهو في الحقيقة مستهدف في حقيقة وجوده.

* وأين هو من واقعه؟ وقضايا مجتمعه؟

- هو بين ثنائية مقيتة هي التسلط والخضوع .. أعني تسلط السياسي وخضوعه للواقع .. ورفض الواقع لوجوده وقيمته.

المثقف اليمني يعاني

*** ولماذا اختفى دوره؟**

- لا أظن اختفى دوره فهو كما قلت سابقاً لم يعد يعيش في ظل ظروف حضارة مستقرة وموحدة ليشترك فيها مع الآخر في القيم والمعتقدات هناك تعدد في كل شيء في المعتقدات والقيم وفي الوسائل والأدوات وأظن دوره لم يختف ولكنه لم يستوعب لحظته الحضارية الجديدة فقط.

*** لماذا تحول المثقف من حامل شعلة التنوير إلى حامل معاول التدمير وصار كبوق للأحزاب والأيديولوجيات ؟**

- في ظني تحوله كان لشعوره بفقدان قيمته ومعناه في عالم غير مستقر ويمتاز بالتعدد ورغبة منه في البقاء ومثلما نجد النفعي نجد في المقابل المثقف الحر والفرد النقائض موجودة في كل زمان أو مكان .. ونحن لسنا استثناء.

يحيى الحمادي

أصفـــــاد

قَيِّدْ فَضَائِي.. و هَبْ لِي مَسلَكًا و عَصَا
أو خُذْ جَنَاحِي و دَعنِي أَهجُرُ القَفَصَا
خُذ كُلّ شِعرِي.. و هَب لِي مَوطِنًا غَدُهُ
وَعدٌ بِإيقاظِ صُبحٍ داخِلِي نَكَصَا
و انزَعْ مِن الحِبرِ قَلبِي فالشّقَاءُ بِهِ
كالبئرِ يَزدَادُ عُمقًا كُلّمَا نَقَصَا
* * *
يا مُمْسِكِي مِن ذِرَاعِي لَم أَعُدْ حَدَثًا
مَرّتْ ثَلاثُونَ.. دَعنِي أُهدِرُ الفُرَصَا
مَرّت ثَلاثُونَ مِنّي _فَجأَةً_ فَمَتى
يَرتَدُّ عُمري على آثَارِهِ قَصَصَا !
لا أَطلُبُ الخُلْدَ.. إنّي كُلّمَا سَقَطَت
تُفّاحَةٌ صَدّ جُوعِي جُوعَهُ و عَصَى
لَم أَقتَرِفْ _بَعدُ_ إلّا دَمعَةً جَرَحَت
خَدّي, و رَمْيَةَ صَبٍّ قَلبَهُ اقتَنَصَا
و لا تَمَنّيتُ إلّا أن أَكُونَ عَلَى
صَدَى الحُرُوفِ خَرِيرًا يُطفِئُ الغُصَصَا
* * *
أُخبِرتُ _مُذْ كُنتُ طِفلًا_ أنّ لِي وَطَنًا
أَعوَامُهُ وَاقِفَاتٌ تَجتَدِي رُخَصَا
و أَنّهُ كَانَ يُخفِي جُرحَهُ خَجَلًا
و لا يُصَدِّقُ إلّا كُلّ مَن خَرَصَا
و حِينَمَا شَدّ يَومًا فَجرَهُ وَقَعَت
ذِرَاعُهُ, ثُمّ قَالُوا: ليتَهُ فَحَصَا!
و اسْوَدّتِ الأَرضُ.. حَتّى أَخرَجَت قَمَرًا
و أَنجُمًا شَاحِبَاتٍ تُشبِهُ البَرَصَا
* * *
ما أَغزَرَ الشِّعرَ.. لَولا أَنّ بِي وَجَعًا
مِن غَيمَةٍ كَافَأَتنِي بِالدُّموعِ حَصَى
يا آخِرَ الشّوطِ.. ها قَد صِرتَ مائِدَةً
لَو كُنتَ عَدْلًا لَكَانَت حِصّتِي حِصَصَا
في النّفسِ شيءٌ و لكنْ لَن أَبُوحَ بِهِ
يَكفِي الذّبِيحَ _عَزَاءً_ أنّهُ رَقَصَا